

الطين الضعيف

للأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني

سألتني صديق عن شيء، لماذا أفعله أو أنكره - فقد نسيت - فكان مما أذكر أني قلته له إنني أعيش الآن كما أحب لا كما يجب، فقد جاوزت الأربعين، والذي بقي لي من العمر ستفسمه الشيخوخة المتهمة لاحالة حين ترتفع في السن فلا يبقى لي حيثند من لذة الحياة إلا الوجود بمجرد لو أن هذا يفيد متعة، فن حقي في هذه الفترة - التي أرجو أن تطول قبل أن يدركني الذوى والذبول - أن أعتصر من الحياة كل ما يدخل في الطوق اعتصاره من المتع واللذات، فأنا أقرأ ما أشتي، وأذهب إلى حيث أريد، وأجالس من آتس به، ولا أبالي من غضب من رضى، فما في الحياة سعة لمبالاة ذلك؛ وأطلق نفسي على السجية كلما وسعني ذلك، وليس للناس على أكثر من أن أؤدى واجباتي فيما عدا هذا

ودخل على وأنا أقول هذا لصديقي شاب مهذب فحيا وقال إنه يقرأ الآن ديواني، ففرغت ولكنني ابتسمت له وقلت وكان الله في عونك. ومن الذي ابتلاك به...

فأهمل السؤال وجوابه وأقبل على يسألني: «انك تكتب بسرعة، قلت، إن الذي أعرفه أني أكتب في غرفة تحيط بها جدران من الحجارة لا تنفذ العين منها على خلاف ما كان يصنع ديماس الذي كان يكتب على ما يقال في دكان فيجيء الناس وينظرون اليه من وراء الزجاج... أريد أن أعرف يا صاحبي ماذا تعني بالسرعة»

قال: «أعني أنك تكتب إلى مجلات كذا وكذا وكذا... وتكتب في صحيفة يومية أيضاً... هذا كثير... فنتي تستطيع أن تكتب كل ذلك... إنه نشاط عجيب...»

قلت: «جواب السؤال أني أكتب وأنا نائم، فالذي تقرأه لي هو أضغاث أحلام... وأما النشاط يا صاحبي فذاك أني مازلت في شباني، فتركني وهو يقول إنه يدرس ما أكتب وإنه ينوي أن

ينشر بحثاً، فاستعذت بالله وحاولت أن أصرفه عن هذا العناء الباطل فما أفلحت، فتوجهت إلى الله عسى أن يصرف عني هذا السوء بطريقة ما... وهل كثير على الله أن يشاء أن تشب النار في كتي التي عند هذا الشاب، أو تنقلب الدواة كلها بالكتابة، أو يجمدا أصابعه أو يحدث له غير ذلك من أسباب التعويق والتعطيل؟

وانقض هذا المجلس، ولكن خاطراً ثقيلاً ألح على وظل يدور في نفسي، ذلك أن كل من ألقاهم من إخواني يذكرون هذا النشاط... ولا يكتفون تعجبهم. فلم يسعني إلا أن أتعجب مثلهم وإلا أن أسأل نفسي: «أكان هذا يبدو لهم مني مستغرباً لو أنهم كانوا يروني شاباً في العشرين من عمري مثلاً؟ أترام يستغربون لأنني في ظنهم خلفت شباني ورأى فالمتنظر من مثلي في اعتقادهم هو الفتور...» ولم يعجبني هذا التأويل فانه ثقل على النفس، وآثرت أن أقول إنهم هم معدومو النشاط ولذلك يتعجبون لي.

ثم إنني لا أحس إلا أني مازلت شاباً. والعبرة بالاحساس لا بهذه الشعرات البيضاء التي يقول عنها ابن الرومي إنها تزيد ولا تزيد فهي مثل نار الحريق... وما قيمة هذه الشعرات... لقد ابيضت وأنا في العشرين من عمري، وكنت يومئذ بهافرحاً مزهواً، وكنت أعدها مظهرأ للرحولة ومدعاة للاحترام، فإذا حدثتني صرت أبيضها... أو لا أبيضها وإنما أنظر إليها في المرأة فأزوم، وتقول شفتاي «هممممم...» ثم اني أراني أجلد من أبناء العشرين، وأصبر على العناء والجهد، وأقدر على العمل والحركة، وأحسن تلقياً للحياة، وأسرع استجابة لدواعيها، فما قيمة هذا الذي تطالعي به المرايا؟ وما حاجتي أنا إلى المرايا؟ ومتى كنت أنظر فيها حتى أنظر فيها اليوم؟ كلا... إن امامي باذن الله حياة طويلة، وليست الحياة أن أظل باقياً في الدنيا والسلام، وإنما هي أن أظل قادراً على العمل وكفوا للأعباء، وهذا ما اعتقد أنه سيكون شأني فما أشعر بدبيب الفتور ولا أرى أية علامة على ابتداء النضوب.

وضحكت وأنا أقول ذلك فقد تذكرت أني قلت مرة لصاحب كان يحدثني في هذا الموضوع أو يسألني على الأصح، هل تعرف حكاية الذي أراد أن يتزوج بنت السلطان... لقد زعموا أن رجلاً من الغوغاء زعم أنه سيتزوج بنت السلطان، فلما سأله كيف يتسنى له ذلك، قال إن المسألة بسيطة: فقد رضيت أنا بزواجها

يستدعي التخفيف .. صدق الطيب الحاذق فما هذا بجسم إلا على
المجاز .. ولكن هذا البناء الواهى يحتمل النوم على الرمال وتوسد
الحجارة . نعم فاني كثيرا ما أخرج إلى الصحراء فأرتمي على رمالها
ساعة وساعتين وتحت رأسي حجر صلد كبير . وفي بيتي أترك
الفراش الوثير إلى الكراسي الخشنة التي لراحة مخلوق عليها ..
وأفتح النوافذ وأقعد أو أنام بين تيارات الهواء ولا أرى ذلك
يضيرني . وأحسب هذا وراثته . فقد كانت أمي رحمها الله تنام وأنفها
إلى النافذة المفتوحة - صيفاً وشتاء . نعم أركم أحياناً ولكن
الليل يزكم .. وساق مهبطه ولكنني لا أتعب من المشي وإنما
أتعب من الوقوف .. ولم أتخذ المدافئ قط ، فإذا أوقدوا في بيتنا
ناراً تركت لهم الغرفة إلى أخرى لا نار فيها .. وما لبست معطفاً
إلا في أعقاب مرض وعلى سبيل الوقاية إلى حين .. وإني لأرى
مناعة جسمي تزداد عاماً فعاماً وأراني كلما علت سني أحس أني
صرت أقوى وأصح بدناً وأقدر على العمل والحركة والجهد ..
فلست بعجز يافتاق الصغيرة وإني وحياتك لأصبي من ابني .
وان الذي في عروقي لنار سائلة لادماء جارية ، وقد أحسنت
بالانصراف بعد تلك الضحكة الفضية التي ستظل في مسمعي
تذكرني بك وتصيني إلى أترابك والسلام عليك والشكر لك .
وإلى الملتقى . وأين مني يهرب الطارب ؟ ، ...

ابراهيم عبر القادر المازني

كتابان جديان

الشخصية

التربية الانكليزية

تأليف الاستاذ محمد عطية الابراشي

أول كتابين ظهرا في اللغة العربية عن المثل الأعلى
للشخصية الانسانية ، والتربية الانكليزية الاستقلالية في
البيت والمدرسة . وهما خلاصة عشرات من الكتب .

وثن الأول ٨ ، والثاني ١٢

بطلب من مترجمة لعمرا

مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر

ويغلبني النوم قبل أن أسمع جراب النفس .. وإني ليكون أمانى
الطعام الجيد المشتى فأمد إليه يدي محاذراً وأتأول منه مترقفاً
وعلى قدر مخافة الكظة أو الاتفاخ ، ولم أكن أبالي ذلك قبل
سنوات .. وإني لأهم بزيارة الصديق فيصعدني أن درجات سلمه
كثيرة فأرتد وألعن أصحاب العائر الذين لا يتخذون المصاعد ..

ولم يرضني هذا السخط على نفسي فقلت وأين هذا الفتور ؟
ومن ذا الذي لا يكل أحياناً ؟ . إني أعمل كالخمار بالليل والنهار
وأكتب في اليوم الواحد فصلاً ثلاثة أو أربعة لا أكثر من
صحيفة واحدة . وأقطع بالسيارة أكثر من خمسين كيلو في نهاري ،
وأسهر إلى منتصف الليل ، ثم أقوم في الفجر مع الديكة والعصافير
وأقصد إلى مكتبي وأروح أدق على آلة الكتابة حتى لقد غير
جاري غرفة نومه لكثرة ما أزعجه وأطير النوم عنه في الصباح
الباكر .. وأنا أجالس الناس وأحدثهم وأفعل ما يفعله المرء
بشبابه ولا أراي أكل أو أهوى أو أمل أو أفتر .. وإن رأسي
لدائب لا يكف عن العمل في يقظة أو نوم ؛ ولو كنت أقيد
ما يدور في نفسي لوسعني أن أملا الدنيا كلاماً ، ولكن المصيبة أني
لا أقيد شيئاً وأنى أنسى ، فالذي يبق لي لا يعدل جزءاً من مائة مما
يخطر لي ، وإذا كانت لي شكاة فلك أني لا أفتر ولا أراي أفنع
بما أستطيع وما يدخل في وسعي . ولقد قال لي مرة طيب حاذق
شكوت إليه أني لا أهدأ - إن بنائي كله من الأعصاب ، وأن
جسمي ليس أكثر من شبكة أعصاب ركبت لها العظام لتسكها
ووضع لي هنا قلب وهناك معدة إلى آخر ذلك ، ثم كسى هذا كله
جلداً رقيقاً ليكن أن يقال إن هذا جسم إنسان ، ولكن المهم هو
هذه الأعصاب ؛ فإذا كنت أشكو شيئاً في بعض الأحيان فيحسن
بي أن أعرف أنه من الأعصاب ليس إلا . فأرحها حين تتعب
تعد كما كانت فأنها متينة . وأكبر الظن أن هذه ليست أعصاباً وإنما
هي - جنازير من الحديد ، ويكنى أنها تنحملك ، كذلك قال .
ودليل صدقه أني لم أشك شيئاً قط منذ سمعت منه هذا ؛ ولو كان بي
شيء غير هذه الأعصاب لما نفعتي كلامه . ولقد خرجت من
عنده إلى صيدلية فيها ميزان فوقف على فاذ بي - بئاني الشثوية
لأذن أكثر من سبعة وأربعين كيلو ، فضحكت وقلت : كم ترى
يكون وزني في الحمام .. بغير هذه الثياب .. أو في الصيف الذي